مفهوم الدولة في صدر الإسلام

الدكتور محمد نوري كولر*

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه أجمعين. أما بعد،

فإن هذا البحث «مفهوم الدولة في صدر الإسلام» يبين مرحلة مهمة من مراحل مفهوم الدولة عبر التاريخ.

إن كلمة الدولة في الإصطلاح ذات طابع سياسي وقانوني واقتصادي واجتماعي وتاريخي، فهي كلمة هامة وإطار استعمالها واسع، ولهذا فقد تعرض العلماء لتعريف كلمة الدولة وفق اصطلاحاتهم الخاصة، فمثلاً عرفت الدولة في علم السياسة بأنها «الجسم السياسي للمجتمع»[1]، وفي علم القانون عرفت الدولة بأنها «وحدة قانونية، تتمتع بالشخصية الدولية، تتضمن وجود هيئة اجتماعية تباشر سلطات قانونية معينة ازاء شعب مستقر في أقليم معين»[2]. وفي علم الإقتصاد عرف المذهب الإشتراكي

---

* عضو التدريس في علم الفقه الإسلامي في كلية الشريعة بجامعة حران.

(١) د. عبد الوهاب الكيالي ورفقاؤه، «الدولة»، موسوعة السياسة، ج٢، بيروت ١٩٨١م، ص ٧٠٢.

(٢) د. عبد الواحد كرم، معجم المصطلحات القانونية، ط١، مكتبة النهضة العربية، بيروت ١٩٨٧م، ص ٢٣١.

الدولة بأنها «نظام سياسي يجعل جميع الوظائف الاجتماعية من انتاج وخدمات عامة في يدها»[1]، كما عرف المذهب الرأسمالي الدولة بأنها «هي المحافظة على الأمن في الداخل والمدافعة المجتمعة في الخارج ومحامية الملكية الخاصة من الإعتداء عليها»[2].

وبالرغم من ذلك فيستعمل الباحثون المسلمون وغيرهم مفهوم الدولة بدون تدقيق ولا تحديد كما يشاؤون في كثير من المجالات. فدفعني هذا الاستعمال العشوائي إلى دراسة مفهوم الدولة في صدر الإسلام .

وهكذا فبدأت بدراسة مفهوم الدولة في صدر الإسلام بالرجوع إلى المعاجم القديمة والحديثة وما كتب عن هذا الموضوع، وحرصت على تتبع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المرتبطة بالموضوع، وأقوم بدراستها دراسة نصية كي أصل بعد ذلك إلى ما أشعر أنه الصواب والحق.

وقد تناولت في دراستي قسمين اثنين غير الخاتمة. القسم الأول: عالجت فيه مفهوم الدولة في اللغة، والقسم الثاني: عالجت فيه مفهوم الدولة في الإصطلاح. وركزت في القسم الأول على الدلالة الأساسية والصرفية والنحوية لمفهوم الدولة، وإما القسم الثاني فركزت فيه على استعمال مفهوم الدولة في المجالات المختلفة خلال الأزمنة المتتابعة بين العصور. وقد حاولت تحديد معيار مفهوم الدولة في صدر الإسلام. وفي الخاتمة فقد عرضت فكري الذي كون عندي من خلال دراسة مفهوم الدولة في صدر الإسلام.

والله ولي التوفيق.

---

(١) د. عبد الحميد متولي، **مبادىء الحكم في الإسلام**، ط٤، منشاة المعارف، الإسكندرية ١٩٧٨م، ص ٢٥٤ وما بعدها؛ عبد الله العروي، **مفهوم الدولة**، ط١، الدار البيضاء، المغرب ١٩٨١م، ص ١٢.

(٢) د. عبد الحميد متولي، **نظام الحكم في الإسلام**، ص ٣٣٦؛ عبد الله العروي، **مفهوم الدولة**، ص ٢٤.

القسم الأول: اللغة ومفهوم الدولة

في هذا القسم سنتعرض لدراسة مفهوم الدولة في اللغة وذلك على النحو التالي:

١- الدلالة الأساسية

إن جوهر مفهوم «الدولة» المادي اللغوي المشترك في كل ما يستعمل من الإشتقاق والأبنية الصرفية هو: «الدال» و «الواو» و «اللام»[1].

لفظت «الدَّولة» بفتح الدال من قبل: عيسى بن عمر (ت

---

(١) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، **كتاب العين**، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١ (كلمة الدولة مهملة في كتابه)؛ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، **رسائل الجاحظ**، ج٣، تحقيق عبد السلام محمد هارون،ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٩، ص ٣٠٠؛ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، **أدب الكاتب**، تحقيق محمد الدالي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢، ص ٣١٩-٣٢٠، ٤٢٧-٤٢٨؛ أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري (ت ٣٢١هـ)، **كتاب جمهرة اللغة**، ج٢ و ج٣، حقق في مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية الكائنة ببلدة حيدر آباد الدكن، طبعة جديدة بالأوست، مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتزيع، القاهرة، بدون تاريخ، ج٢، ص ٥٥، ٣٠٠ و ج٣، ص ٢٤٥؛ ابن دريد، **الإشتقاق**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مؤسسة الخانجي، مصر، ١٩٥٨، ص ٣٢٥، ٣٤٧، ٣٧٢؛ أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، **تهذيب اللغة**، ج١٤، تحقيق يعقوب عبد النبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، القاهرة، بدون تاريخ، ص ١٧٥، ١٧٦؛ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، ج٢، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٧٠، ص ٣١٤، ٣١٥؛ ابن فارس، **مجمل اللغة**، ج٢، تحقيق الشيخ هادي حسن حمودي، ط١، معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت، ١٩٨٥، ص ٣٠١؛ أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٤٠٠هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ج٤، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩، ص ١٦٩٩، ١٧٠٠، ١٧٠١؛ أبو حسن علي بن اسماعيل

١٤٩هـ)[١]، والكسائي (ت ١٨٩هـ)[٢]، وابن قتيبة[٣]، وأبو عمر ابن

الأندلسي المعروف بابن سيده (ت ٤٥٨هـ)، **المخصّص**، ج١، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الافاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ، ص ١٣٩؛ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، **أساس البلاغة**، ج١، تحقيق مركز تحقيق التراث، ط٢، دارالكتب والوثائق القومية، مصر، ١٩٧٢، ص ٢٨٨؛ محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي (ت ٦٦٦هـ)، **مختار الصحاح**، عنى بتربيته محمود الخاطر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧، ص ٢١٥، ٢١٦؛ الحسن بن محمد الحسن الصغانيّ (ت ٦٥٠هـ)، **التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية**، ج٥، تحقيق ابراهيم اسماعيل الأبياري، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٣٥٧، ٣٥٨؛ محمد بن مكرم بن علي رضوان بن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة ابن منظور الأنصاري الأفريقي المصري جمال الدين أبو الفضل (ت ٧١١هـ)، **لسان العرب**، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة: يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت، بدون تاريخ، ص ١٠٣٤، ١٠٣٥؛ محمد بن يعقوب الفيروزابادي الشيرازي (ت ٨٢١ أو ٨١٧)، **القاموس المحيط والقابوس الوسيط في اللغة**، ج٣، دار الفكر، بدون مكان وتاريخ، ص ٣٧٧، ٣٧٨؛ السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) **تاج العروس**، ج٧، دار ليبيا للنشر والتوزيع بنغازي، طبع على مطابع دار صادر، بيروت، ١٩٦٦، ص ٣٢٦، ٣٢٧؛ **المنجد في اللغة والأعلام**، ط٢٧، دار المشرق، بيروت، ص ٢٣٠؛ ابراهيم مصطفى ورفقاؤه، **المعجم الوسيط**، ج١، ط١ (مجمع اللغة العربية)، المكتبة العلمية، طهران، بدون تاريخ، ص ٣٠٤؛ ابراهيم أنيس ورفقاؤه، **المعجم الوسيط**، ج١، ط٢، دار الفكر، بدون مكان وتاريخ، ص ٣٠٤؛ جبران مسعود، **الرائد**، ج١، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨، ص ٦٨٦.

(١) عيسى بن عمر الثقفي بالولاء، أبو سليمان. من أئمة اللغة. وهو شيخ الخليل وسيبويه وابن العلاء، وأول من هذب النحو ورتبه. وعلى طريقته مشى سيبويه واشباهه. وهو من أهل البصرة (خير الدين الزركلي، **الأعلام قاموس وتراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ج٥، ط٥، بيروت، ١٩٨٠، ص ١٠٦.

(٢) علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء، الكوفي، أبو الحسن الكسائي. إمام في اللغة والنحو والقراءة. من أهل الكوفة، ولد في إحدى قراها، وتعلم فيها. وقرأ النحو بعد الكبر، وتنقل في البادية، وسكن بغداد، وتوفي بالري (الزركلي، **الأعلام**، ص ٢٨٣).

(٣) قارن: ابن قتيبة، **أدب الكاتب**، ص ٣١٩، ٣٢٠.

العلاء (ت ١٥٤هـ)[١]، والليث بن سعد (ت ١٧٥هـ)[٢]، ويونس (ت ١٨٢هـ)[٣]، والسلمي (ت نحو ١٩٥هـ)[٤]، وابن الأعرابي (ت ٢٣١هـ)[٥]، والجُمحي (ت ٢٣٢هـ)[٦]، وثعلب (ت ٢٩١هـ)[٧]، والزجّاج (ت ٣١١هـ)[٨]، والأزهري (ت ٣٧٠هـ)[٩]، وابن حجاج (ت ٣٩١هـ)[١٠]، وأبو عبيد (ت

---

(١) زبّان بن عمار التميمي المازني البصري، أبو عمرو، ويلقب أبوه بالعلاء. من أئمة اللغة والأدب، وأحد القراء السبعة. ولد بمكة، ونشأ بالبصرة، ومات بالكوفة (الزركلي، **الأعلام**، ج١، ص ٤٠).

(٢) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي بالولاء، أبو الحارث. إمام أهل مصر في عصره، حديثاً وفقيهاً. أصله من خراسان، ومولده في قلقشنده، ووفاته في القاهرة. قال الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ): الليث أفقه من مالك، إلا أن اصحابه لم يقوموا به (الزركلي، **الأعلام**، ج٥، ص ٢٤٨).

(٣) يونس بن حبيب الضبي بالولاء، أبو عبد الرحمن، ويعرف بالنحوي. علامة بالأدب، كان إمام نحاة البصرة في عصره. أخذ عنه سيبويه والكسائي والفراء وغيرهم من الأئمة (الزركلي، **الأعلام**، ج٨، ص ٢٦١).

(٤) أشجع بن عمرو السلمي، أبو الوليد، من بني سليم، من قيس عيلان. شاعر فحل، كان معاصراً لبشار. ولد باليمامة، ونشأ في البصرة، وانتقل إلى الرقة، واستقر في بغداد (الزركلي، **الأعلام**، ج١، ص ٣٣١).

(٥) محمد بن زياد، المعروف بابن الأعرابي، أبو عبد الله. راوية، ناسب، علامة باللغة. من أهل الكوفة. وهو غير «ابن الأعرابي (٢٤٦هـ-٣٤٠هـ)» (الزركلي، **الأعلام**، ج٦، ص ١٣١).

(٦) محمد بن سلاّم بن عبد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله. إمام في الأدب. من أهل البصرة، مات في بغداد (الزركلي، **الأعلام**، ج٦، ص ١٤٦).

(٧) أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب. إمام الكوفيين في النحو واللغة. ولد ومات في بغداد (الزركلي، **الأعلام**، ج١، ص ٢٦٧).

(٨) ابراهيم ابن السَّريّ بن سهل، أبو اسحاق الزجاج. عالم بالنحو واللغة. ولد ومات في بغداد (الزركلي، **الأعلام**، ج١، ص ٤٠).

(٩) قارن: الأزهري، **تهذيب اللغة**، ص ١٧٥، ١٧٦.

(١٠) حسن بن أحمد ابن محمد جعفر بن محمد بن الحجاج، النيلي البغدادي، أبو عبد الله. شاعر فحل. نسب إلى قرية النيل، وتوفي فيها، ودفن في بغداد (الزركلي، **الأعلام**، ج٢، ص ٢٣١).

٢٢٤هـ)[١]، وابن فارس (ت ٣٩٥هـ)[٢]، والجوهري (ت ٤٠٠هـ)[٣]، وابن سيده (ت ٤٥٨هـ)[٤]، والزمخشري (ت ٥٣٨هـ)[٥]، والرازي (ت ٦٦٦هـ)[٦]، وابن منظور (ت ٧١١هـ)[٧]، والفيروزابادي (ت ٨١٢هـ)[٨]، والزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)[٩]، و «الدّولة» بضم الدال، من قبل كل من لفظ «الدّولة» بفتح الدال عدا: السلمي[١٠]، وأبو عبد الرحمن (ت ١٧٥هـ)[١١].

٣- الدلالة الصرفية

وضعت كلمة «الدَّوْلة» في مجال وظيفي معين كفعل، فقال أبو عبيد: «الدُّولة بالضم: اسم الشيء الذي يتداول به بعينه، والدَّوْلة بالفتح: الفعل»[١٢]، وقال الزجاج: «الدُّوْلة اسم الشيء الذي يتداول؛ والدَّوْلة الفعل والإنتقال من حال»[١٣].

---

(١) ابن فارس، **معجم اللغة**، ص ٣١٤، ٣١٥ والمؤلف نفسه، **مجمل اللغة**، ص ٣٠١.

(٢) القاسم بن سلاّم الهروي الأزدي الخزاعي بالولاء، الخرساني البغدادي، أبو عبيد. من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه. من أهل هرة ولد وتعلم بها. وكان أديباً. توفي بمكة، وهو صاحب كتاب الأموال (الزركلي، **الأعلام**، ج٥، ص ١٧٦).

(٣) قارن: الجوهري، **الصحاح**، ص ٢١٥.

(٤) ابن سيده، **المخصص**، ص ١٣٩.

(٥) الزمشخري، **أساس البلاغة**، ص ٢٨٨.

(٦) الرازي، **مختار**، ص ٢١٥.

(٧) ابن منظور، **لسان العرب**، ج١، ص ١٠٣٤.

(٨) الفيروزابادي، **القاموس المحيط**، ج٣، ص ٣٧٧.

(٩) الزبيدي، **تاج العروس**، ج٧، ص ٣٢٦.

(١٠) الأزهري، **تهذيب اللغة**، ص ١٧٥.

(١١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، **جامع البيان في تفسير القرآن**، ج٢٨، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٢، ص ٢٧.

(١٢) الجوهري، **الصحاح**، ص ١٧٠٠؛ الرازي، **مختار**، ص ٢١٦؛ الطبري، **جامع البيان**، ج٢٨، ص ٢٧.

(١٣) الأزهري، **تهذيب اللغة**، ص ١٧٥.

٣- الدلالة النحوية

حلت كلمة «الدَّوْلة» موقعاً نحوياً معيناً في التركيب الإسنادي وعلاقاته الوظيفية: الفاعلية، والمفعولية. فقد استعمل الطبري (ت ٣١٠هـ) والأزهري (ت ٣٧٠هـ) كلمة «الدَّوْلة» كفاعل في قولهما: «قد رجعت الدَّولة على هؤلاء»[١]، وأيضاً استعملها الجوهري (ت ٤٠٠هـ) كفاعل في قوله: «كانت لنا عليهم الدَّولةُ»[٢]، بينما استعمل الكسائي (ت ١٨٩هـ) كلمة «الدَّوْلة» كمفعول مطلق قائلاً: «دال عليهم الدهر دولة»[٣].

٤- التطور الدلالي

يأتي جمع «الدَّوْلة» على «دوَل»[٤] أو «دُوَل» أو «دُولات»، فقد قال الجوهري في صحاحه: «ويأتي «الدُوَل» جمع «الدَّولة» مع صيغة الجمع الأخرى «دولات»[٥]، وقال الزبيدي في تاج العروس: «ومما يستدرك عليه الدولات جمع دولة قال الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ): وفيت كل صديق ودّني ثمنا ** إلا المؤمل دولاتي وأيامي»[٦]، وأيضاً قال ابن جنِّي (ت ٣٩٢هـ)[٧]: «إن مجيء فُعلَة على فُعَل يريك أنها كأنها جاءت عندهم من فُعلَة، فكأن دَوْلة دُولة، وإنما ذلك لأن الواو مما سبيله أن يأتي تابعاً للضمة»[٨]، واستعمل الجاحظ (ت

---

(١) الطبري، جامع البيان، ج٢٨، ص ٢٧؛ الأزهري، تهذيب اللغة، ص ١٧٥.

(٢) الجوهري، الصحاح، ص ١٦٩٩.

(٣) ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص ٣١٩-٣٢٠.

(٤) الجوهري، الصحاح، ص ١٦٩٩.

(٥) الجوهري، الصحاح، ص ١٧٠٠.

(٦) الزبيدي، تاج العروس، ج٧، ص ٣٢٧.

(٧) عثمان بن جني الموصول، ابو الفتح. هو من أئمة الأدب والنحو، وله شعر. ولد بالموصل وتوفي ببغداد (الزركلي، الاعلام، ج٤، ص ٢٠٤).

(٨) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ١٠٣٤؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٧، ص ٣٢٦؛ الجوهري، الصحاح، ص ١٦٩٩.

٢٥٥هـ) «دُوَل» بالصورة التالية: «وعلى العلماء أن يخافوا دُوَلَ العلم، كما يخاف الملوك دُوَل الملك»[١].

واشتق من كلمة «دُوَل» -وهي جمع الدُّولة- «دُول»، وهي اسم لاب من بني حنيفة والتي هي احدى قبائل العرب[٢]، ويبين لنا ابن دريد معنى كلمة «دُول» في قوله: «بنو الدُّول من رجال بني حنيفة. واشتقاق (الدُّول) من دال يدول، وهي دُوَل الدهر»[٣]. وأن اشتقاق كل من «دوَل» و «دُوَل» و «دوُلات» يأتي من «دال» و «يدول». واشتق من «دال» و «يدول» كلمة «تَدُول» وهي اسم لبني تدول بن الحارث[٤]، كما اشتق من «دال» و «يدول» كلمة «أدال»، فقد قال الليث (ت ١٧٥هـ): «الدُّولة والدَّولة لغتان، ومنه «الإدالة». قال: وقال الحجاج (ت ٣٩١هـ): إن الأرض ستُدال منها كما أدلْنا منها»[٥]، وكلمة «اندال»[٦]، فيقال الدَّولة لحوصلة الطير لانديالها والبطن في الإنسان لانديالها[٧]، ويقال أيضاً أن دولة البطن هي السرة[٨]، واشتق ايضاً من «دال» و«يدول» كلمتي تداول»[٩]

---

(١) الجاحظ، رسائل **الجاحظ**، ج٣، ص ٣٠٠.

(٢) ابن قتيبة، **أدب الكاتب**، ص ٤٢٧-٤٢٨؛ ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج٢، ص ٣٠٠؛ نفس المؤلف، **الإشتقاق**، ص ٣٢٥.

(٣) ابن دريد، **الإشتقاق**، ص ٣٤٧.

(٤) ابن دريد، **الإشتقاق**، ص ٣٧٢.

(٥) الأزهري، **تهذيب اللغة**، ص ١٧٥؛ الجوهري، **الصحاح**، ص ١٧٠٠؛ ابن سيده، **المخصص**، ص ١٣٩؛ الزمخشري، **أساس البلاغة**، ص ٢٨٨؛ الرازي، **مختار**، ص ٢١٦.

(٦) ابن فارس، **معجم اللغة**، ص ٣١٤-٣١٥؛ نفس المؤلف، **مجمل اللغة**، ص ٣٠١؛ الجوهري، **الصحاح**، ص ١٧٠٠.

(٧) ابن فارس، **مجمل اللغة**، ص ٣٠١؛ الزبيدي، **تاج العروس**، ج٧، ص ٣٢٧.

(٨) الزبيدي، **تاج العروس**، ج٧، ص ٣٢٧.

(٩) ابن فارس، **معجم اللغة**، ص ٣١٤؛ نفس المؤلف، **مجمل اللغة**، ص ٣٠١؛ الجوهري، **الصحاح**، ص ١٧٠٠؛ ابن سيده، **المخصص**، ص ١٣٩؛ الزمخشري، **أساس البلاغة**، ص ٢٨٨؛ الرازي، **مختار**، ص ٢١٦.

و«دواليك»، فقد نقل ثعلب (ت ٢٩١هـ) عن ابن الاعرابي (ت ٢٣١هـ) أنه قال: «حَجازيك ودَواليك وهذا ذَيْك ... ودواليك من تداولوا لأمر بينهم، يأخذ هذا دَولة وهذا دولة»[١]، ونقل عن ابن بُزرج أنه قال: «وقد يدخل «ال» على «دواليك» فيجعله اسماً مع «الكاف» فيقال «الدواليك»»[٢].

٥- الدلالة المعنية

استعمل أهل اللغة المعايير المختلفة للدلالة المعنية لمفهوم الدولة، فاذا أردنا معرفة هذه المعايير فلا بد من الرجوع إلى المعاجم العربية القديمة. وبالرجوع إليها نجد أنها بيّنت كما يلي:

قال الكسائي (ت ١٨٩هـ) إن «الدُّولة بضم الدال مثل العارية، يقال: اتخذوه دُولَةً، يتداولونه بينهم، والدَّوْلة مفتوحة الدال، من دال عليهم الدهرَ دَوْلةً، ودالت الحربُ بهم (أو بينهم)»[٣].

وقال السلمي (ت ١٩٥هـ) إن «الدَّوْلة للجيشين يهزم هذا هذا ثم يُهزَم الهازم، فتقول: قد رجعت الدَّولة على هؤلاء كأنها المرَّة. والدُّولة، برفع الدال، في المِلك والسُّنن التي تغيَّر وتبدَّل عن الدهر فتلك الدُّولةُ والدُّوَلُ»[٤].

وأيضاً قال أبو عبيد (ت ٢٢٤هـ) إن «الدُّولة بالضم: اسم الشيء الذي يتداول به بعينه والدَّوْلة بالفتح: الفعل»[٥].

وقال ابن الأعرابي (ت ٢٣١هـ) إن «الدالة هي الشهرة ويجمع

---

(١) الأزهري، تهذيب اللغة، ص ١٧٥، ١٧٦؛ ابن دريد، جمهرة اللغة، ج٢، ص ٥٥؛ الجوهري، الصحاح، ص ١٧٠٠؛ الزمخشري، أساس البلاغة، ص ٢٨٨.

(٢) الأزهري، تهذيب اللغة، ص ١٧٦.

(٣) ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص ٣١٩-٣٢٠.

(٤) الأزهري، تهذيب اللغة، ص ١٧٥؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ١٠٣٤-١٠٣٥؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٧، ص ٣٢٦.

(٥) الجوهري، الصحاح، ص ١٧٠٠؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ١٠٣٤؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٧، ص ٣٢٦.

الدال، يقال: تركناهم دالةً أي شهرةً، وقد دالَ يدُول دالةً ودَوْلاً إذا صار شهرة»[1].

قال الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) إن الدولة هي الإنتقال من حال إلى حال عندما قال: «وعلى العلماء أن يخافوا دُوَلَ (جمع دولة) العِلم، كما يخاف الملوك دول المُلك»[2].

وقال الزّجاج (ت ٣١١هـ) إن «الدُّولة اسم الشيء الذي يُتداوَل، والدَّولة الفعل والإنتقال من حال إلى حال»[3].

وقال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) إن «الدَّولة والدُّولة لغتان، ويقال بل الدُّولة في المال والدَّولة في الحرب، وإنما سُمِّيا بذلك من قياس الباب؛ لأنه أمر يَتداوَلونه، فيتحول من هذا إلى ذاك من ذاك إلى هذا»[4].

وقال الجوهري (ت ٤٠٠هـ) إن «الدَّولة في الحرب: أن تُدالَ إحدى الفئتين على الأخرى. يقال: كانت لنا عليهم الدَّولةُ. والجمع الدُّوَلَ. والدُّولة بالضم، في المال. يقال: صار الفيءُ دُولةً بينهم يَتداوَلونَهُ، يكون مرة لهذا ومرة لهذا، والجمع دُولاتٌ ودُوَلٌ»[5].

وقال ابن سيده (ت ٤٥٨هـ) إن «الدُّولة والدَّولة العقبة من المال والحرب وقيل الدُّولة بالضم في المال والدَّولة بالفتح في الحرب وقيل بالضم في الآخرة وبالفتح في الدنيا والجمع الدُّوَل والدِّوَل»[6].

---

(١) الأزهري، تهذيب اللغة، ص ١٧٥؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ١٠٣٥؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٧، ص ٣٢٧.

(٢) الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج٣، ص ٣٠٠.

(٣) الأزهري، تهذيب اللغة، ص ١٧٥؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ١٠٣٥.

(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ص ٣١٤؛ نفس المؤلف، مجمل اللغة، ص ٣٠١.

(٥) الجوهري، الصحاح، ص ١٦٩٩-١٧٠٠.

(٦) ابن سيده، المخصص، ص ١٣٩. وبالإضافة إلى ذلك قال ابن سيده إن «الدُّبْرة نقيض الدَّولة فالدَّولة في الخير والدُّبر في الشر يقال جعل الله عليه الدُّبرة وقيل الدُّبرة العاقبة» (نفس المصدر، ص ١٣٩).

وقال الرازي (ت ٦٦٦هـ) إن «(الدَّولة) في الحرب أن تُدالَ إحدى الفئتين على الأخرى يقال كانت لنا عليهم الدَّولة والجمع (الدِّوَل) بكسر الدال. و(الدُّولة) بالضم في المال يقال صار الفيءُ دُولةً بينهم يَتَداوَلونه يكون مرة لهذا ومرة لهذا والجمع (دُولاتٌ) و (دُوَلٌ)»[١].

وقال ابن منظور (ت ٧١١هـ) إن «الدَّولة والدُّولة: العُقبة في المال والحرب سواء»[٢].

وقال الفيروزأبادي (ت ٨١٢هـ) إن «الدولة انقلاب الزمان والعُقبة في المال ويُضمُّ أو الضمُّ فيه والفتح في الحرب أو هما سواءٌ أو الضمُّ في الآخرة والفتح في الدنيا ج دُوَلٌ مثلَّثةً»[٣].

وقال الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) إن «الدولة انقلاب الزمان من حال البؤس والضر إلى حال الغبط والسرور والبدل ويضم كما في المحكم والضم فيه والفتح في الحرب»[٤].

ونجد أيضاً أن بعض أهل اللغة لم يستعملوا المعايير للدلالة المعنية وذلك عندما وضحوا مفهوم الدولة كما يلي:

قال عيسى بن عمر (ت ١٤٩هـ) إن الدَّوْلة والدُّولة «تكونان جميعاً في المال والحرب سواء ولست أدري فرق ما بينهما»[٥].

وقال أبو عمرو ابن العلاء (ت ١٥٤هـ) إن «الدُّولة في المال والدَّولة في الحرب»[٦].

---

(١) الرازي، مختار الصحاح، ص ٢١٥-٢١٦.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ١٠٣٤.

(٣) الفيروزأبادي، القاموس المحيط، ص ٣٧٧.

(٤) الزبيدي، تاج العروس، ج٧، ص ٣٢٦.

(٥) ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص ٣١٩-٣٢٠؛ قارن مع الأزهري، تهذيب اللغة، ص ١٧٥؛ الجوهري، الصحاح، ص ١٧٠٠؛ الرازي، مختار الصحاح، ص ٢١٦؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ١٠٣٥؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٧، ص ٣٢٦.

(٦) الأزهري، تهذيب اللغة، ص ١٧٥؛ الجوهري، الصحاح، ص ١٧٠٠؛ الرازي، مختار الصحاح، ص ٢١٦؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ١٠٣٥؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٧، ص ٣٢٦.

وأيضاً قال الليث بن سعد (ت ١٧٥هـ) إن «الدُّولة والدَّولة لغتان، ومنه الإدالة»[١].

وقال يونس (ت ١٨٢هـ) «أما أنا فوالله ما أدري ما بينهما (أي الدَّولة والدُّولة)»[٢].

وقال الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) :«دالت له الدولة، ودالت الأيام بكذا»[٣].

القسم الثاني: الإصطلاح ومفهوم الدولة

الإصطلاح، أي الدلالة السياقية، هو ما يكون قد طرأ على الكلمة من تطور دلالي في الزمان المتتابع بين العصور، وفي المجالات المختلفة. فالكلمة تكسب أبعاداً جديدة، أو تحصر في إطار خاص أو تنقل إلى مواقع لم تألفها قبل.

دعنا نلقي الضوء على تطور الدلالة السياقية لمفهوم الدولة خلال الأزمنة المتتابعة بين العصور لتحديد الدلالة المعنية لمفهوم الدولة المحصورة في صدر الإسلام، على النحو التالي:

١- في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وما بعده

إذا نسهب في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية نجد أن كلمة الدولة قد استعملت في الآية السابعة من سورة الحشر في قوله تعالى: ﴿وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي دولة بين

---

(١) الأزهري، تهذيب اللغة، ص ١٧٥؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ١٠٣٥.

(٢) الأزهري، تهذيب اللغة، ص ١٧٥؛ الجوهري، الصحاح، ص ١٧٠٠؛ الرازي، مختار الصحاح، ص ٢١٦؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ١٠٣٥؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٧، ص ٣٢٦.

(٣) الزمخشري، أساس البلاغة، ص ٢٨٨.

الأغنياء منكم ... ﴾، كما نجد اشتقاق كلمة الدولة في الآية أربعين ومائة من سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله، وتلك الأيام نداولها بين الناس، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء، والله لا يحب الظالمين﴾.

ولمعرفة المعيار المعني في الدلالة السياقية لمفهوم الدولة من الآيتين المذكورتين أعلاه يقتضي منا تتبع آراء المفسرين القدماء وذلك على النحو التالي:

نزلت الآية السابعة من سورة الحشر في يوم (بني النضير) بعد يوم (بدر). وأما الآية الأربعون بعد المائة من سورة آل عمران فقد نزلت بعد يوم (بني النضير) بل بعد يوم (أحد)[1].

وقد فسر ابن عباس (ت ٦٨هـ) كلمة «الدولة» بمعنى «قسمة» من النصرة والغنيمة، ويرى ابن عباس أن الحصول على النصرة من الآية ﴿ما أفاء الله على رسوله منهم﴾ والفيء من الآية ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى﴾ يكون بالسلطة التي سلط الله بها رسوله عليهم، وذلك عندما فسر الآية السادسة مع بداية الآية السابعة بما يلي: ﴿ما أفاء الله على رسوله﴾ ما فتح الله لرسوله ﴿منهم﴾ من بني النضير فهو لرسول الله ﷺ خاصة من دونكم ﴿فما أوجفتم عليه﴾ فما أجريتم إليه ﴿من خيل ولا ركاب﴾ إبل ولكن مشيتم إليه مشياً لأنه كان قريباً إلى المدينة ﴿ولكن الله يسلط رسله﴾ يعني محمداً عليه الصلاة والسلام ﴿على من يشاء﴾ يعني بني النضير ﴿والله على كل شيء﴾ من النصرة والغنيمة ﴿قدير﴾ قدير، ﴿ما أفاء الله على رسوله﴾ ما فتح الله لرسوله ﴿من أهل القرى﴾ قرى عرينة وقريظة والنضير وفدك وخيبر[2].

وفسر الطبري (ت ٣١٠هـ) قوله تعالى ﴿كي لا يكون دولة بين

---

(١) جلال الدين محمد أحمد المحلى و جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر السيوطي، **تفسير الجلالين للقران العظيم**، استانبول ١٩٨٣، ج٢، ص ٩٩-١٠٠ و ج١، ص ٧٧-٩١.

(٢) ابن عباس، **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**، ص ٤٦٤.

الأغنياء منكم﴾ بمعنى «كي لا يكون الفيء من قوله تعالى ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى﴾ دولة يتداوله الأغنياء منكم»، فيرى الطبري أن الحصول على الفيء من الآية المذكورة أعلاه لا يكون إلا بقدرة الله سلط نبيه محمداً ﷺ على ما سلط عليه من أموال بني النضير وغيرهم وذلك عند تفسيره للآية السادسة بما يلي: «يخبر بذلك جل ثناؤه أن ما أفاء الله عليه من أموال من لم يوجف المسلمون بالخيل والركاب من الأعداء مما صالحوه له خاصة يعمل فيه بما يرى يقول فمحمد ﷺ إنما صار إليه أموال بني النضير بالصلح لا عنوة فتقع فيها القسمة. والله على كل شيء قدير يقول والله على كل شيء أراده ذو قدرة لا يعجزه شيء وبقدرته على ما يشاء سلط نبيه محمداً ﷺ على ما سلط عليه من أموال بني النضير فحازه عليهم»[1].

وأما الآية مائة وأربعون من سورة آل عمران فقد فسرت مع آية مائة وتسع وثلاثون من نفس السورة بما يلي: ﴿وأنتم الأعلون﴾ آخر الأمر لكم بالنصرة والدولة ﴿إن كنتم﴾ إن كنتم ﴿مؤمنين﴾ أن النصرة والدولة من الله ﴿وتلك الأيام﴾ أيام الدنيا ﴿نداولها بين الناس﴾ بالدولة نديل المؤمنين على الكافرين والكافرين على المؤمنين[2].

هكذا نرى أن الدلالة السياقية لمفهوم الدولة في الآيات القرآنية تقبل في إطار «الفيء» و «النصرة»، ونلاحظ أن الفيء يكسب بعطاء الله، وأما النصرة فتنال بقدرة الله أو سلطته، كما نلاحظ أن كلا الفيء والنصرة يحصلان نتيجة للغلبة وذلك بمشيئة الله عز وجل.

---

(١) الطبري، جامع البيان، ج٢٨، ص ٢٥-٢٦.

(٢) ابن عباس، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ص ٥٦-٥٧؛ الطبري، جامع البيان عن تاويل آي القران، ج٧، تحقيق محمود محمد شاكر، ط٢، دار المعارف، مصر، ص ٣٣٤-٣٤٥. علاوة إلى ذلك أنظر إلى: ابن هشام، السيرة، ج٣، ص ١١١، ١١٦، ١١٨.

واستناداً على الملاحظتين المذكورتين أعلاه، فيمكننا القول في معيار الدلالة المعنية لمفهوم الدولة أن اصطلاح الدولة في الآيات القرآنية يأتي بمعنيين، وهما: «النعمة» و «الغلبة»[1].

ويؤيدنا في ذلك الشعراء لما أنشدوا في يوم (بدر)، وفي يوم (بني النضير)، وفي يوم (أحد) كما يلي:

فأنشد الحارث بن هشام بن المغيرة في الجاهلية في ذكرى يوم (بدر) رداً على شعر حمزة رضي الله عنه[2]، قائلاً:

فإن يك قوم صادفوا منك دولة فلا بد للأيام من دول الدهر

وأنشد كعب بن ملك في ذكرى يوم (بني النضير)[3]، فقال:

لقد حزيت بقدرتها الحبور كذاك الدهر ذو صرف يدور

....

أرى الله النبي برأي صدق وكان الله يحكم لا يجور

فأيده وسلطه عليهم وكان نصير نعم النصير

فغودر منهم كعب صريعاً فذلت بعد مصرعه النضير

كما أنشد أبو زيد الأنصاري في ذكرى يوم (أحد)[4]، فقال:

رسول الله مصطبر كريم بأمر الله ينطق إذ يقول

ألا من مبلغ عني لؤيا فبعد اليوم دائلة[5] تدول

---

(١) أنظر لنفس معنى الدولة إلى: الزبيدي، **تاج العروس**، ج٧، ص ٣٢٦؛ **المنجد في اللغة والأعلام**، الطبعة السابعة والعشرون، دار المشرق، بيروت ١٩٨٦، ص ٢٣٠؛ ابراهيم مصطفى ورفقاؤه، **المعجم الوسيط**، الجزء الأول، الطبعة الأولى (مجمع اللغة العرلية)، المكتبة العملية، طهران، بدون تاريخ، ص ٣٠٤؛ جبران مسعود، **الرائد**، ج١، ص ٦٨٦، وأيضاً إلى: الدكتور جميل صليبا، **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والأنكليزية واللاتينية**، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧١، ص ٥٦٨؛ كما أنظر إلى:

Nihat Sâmi Banarlı, **Devlet ve Devlet Terbiyesi**, İstanbul 1985, s. 9-11, 24-25.

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٢، ص ٢٦١.

(٣) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٣، ص ١١٥-١١٦.

(٤) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٣، ص٢٦١.

(٥) الدائلة: يقصد بها «الحرب».

ونرى من بيوت الشعر المذكورة أعلاه أن استعمال كلمة الدولة يأتي بمعنى «الغلبة» بالرغم من وجود فرق بين المعنيين في الجاهلية وفي العهد النبوي. فكانت الغلبة تعني في الجاهلية «بما يداولها **الدهر** بين الناس» بينما الغلبة تعني في العهد النبوي «بما يداولها **الله** بين الناس».

وبعد هذا العرض لاصطلاح الدولة في الآيات القرآنية، نرجع الى كتب الأحاديث النبوية لاتمام البحث عن تطور الدلالة السياقية لمفهوم الدولة، فنجد أن استعمال كلمة الدولة لم تطرق إلا في مسند أحمد بن حنبل (ت ٢٤٨هـ) في روايته عن عائشة رضي الله عنها حيث قالت: «مات رسول الله ﷺ بين سحري ونحري وفي دولتي لم أظلم فيه أحد فمن سفهي وحداثة سني أن رسول ﷺ قبض وهو في حجري ثم وضعت رأسه على وسادة وقمت ألتدم مع النساء وأضرب وجهي»[1].

وبالنسبة لمعنى كلمة «الدولة» في قول عائشة رضي الله عنها، ففسرها (F. Rosenthal) بمعنى «دَوْر» حيث قال:

"... the famous report of the *Sira* (Ibn Hishâm, 1011) on Muhammad's death mentions that it took place when it was 'Â'isha's regular "turn" (*daw/ûlatî*) for Muhammad to visit her"[2].

وربما استند في ذلك إلى تعليق نخبة من العلماء لعبارة «في دولتي» في حاشية السيرة النبوية لابن هشام على أنها «تريد في نوبتها التي كانت لها»[3].

وفي رأي، فقد أخطأ (F. Rosenthal) والعلماء الذين علقوا في حاشية السيرة النبوية لابن هشام في تفسير معنى الدولة وذلك

---

(١) الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤٨هـ)، **مسند**، ج٦، ط٤، المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٨٣م، ص ٢٧٤.

(٢) F. Rosenthal, "**Dawla**", *Encyclopaedia of Islam*, C. II, s. 177.

(٣) أبو محمد عبد الملك بن هشام، **السيرة النبوية**، راجع أصولها وعلق على حواشيها نخبة من العلماء، الجزء الرابع، دار الفكر، القاهرة، بدون تاريخ، ص ١٥١٣.

لأن الدور في ذلك الوقت لم يكن دور عائشة لقولها: «... وهو في بيت ميمونة، فدعا نساءه، فاستأذنهن في أن يمرض في بيتي فأذن له»[1]، وأيضاً لاختلاف الروايات المنقولة عن عائشة رضي الله عنها في هذا الموضوع، ومن هذه الروايات ما يلي:

عن الأسود قال: «... قالت كيف أوصى ولقد دعا بالطست ليبول فيها فانخنث في حجري وما شعرت أنه مات، وما مات إلا بين سَحري ونحري»[2]. فلا نرى في هذه الرواية عبارة «في دولتي».

وعن ملكية قال: «قالت عائشة توفي رسول الله ﷺ في بيتي وبين سحري ونحري ...»[3]. ولا نرى أيضاً فيها عبارة «في دولتي».

وعن الملكية عن القاسم بن محمد قال: «سمعته يقول: سمعت عائشة تقول: كان من نعمة الله عليّ وحُسن بلائه عندي أن رسول الله ﷺ مات في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وجُمع بين ريقي وريقه عند الموت! ...»[4]. فنرى في هذه الرواية أن عائشة وصفت موت النبي ﷺ عندها بنعمة الله لها، وكما نرى أيضاً دخول عبارة «في يومي» في الرواية المذكورة أعلاه.

وعن عباس بن عبد الله عن عائشة قالت: «إن من نعمة الله عليّ أن نبي الله مات بين سحري ونحري وفي بيتي وفي دولتي لم أظلم فيه أحداً»[5]. ونرى في هذه الرواية دخول عبارة «دولتي لم أظلم فيه أحداً» وهي إحدى «نعم الله التي منّها على عائشة رضي

---

(١) ابن هشام (ت ٢١٣هـ)، **السيرة النبوية**، ج٤، ص ٢١٣؛ ابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، **الطبقات الكبرى**، ج٢، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، ص ٢٣٢ و ٢٣٣. أنظر الى الروايات المتعددة في «استئذان رسول الله ﷺ نساءه أن يمرض في بيت عائشة» في الطبقات الكبرى لابن سعد، ج٢، ص ٢٣١-٢٣٣.

(٢) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج٢، ص ٢٦٠-٢٦١.

(٣) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج٢، ص ٢٦١.

(٤) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج٢، ص ٢٣٤.

(٥) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج٢، ص ٢٦٢.

الله عنها» وفقاً للرواية السابقة.

وهكذا يتضح لنا مما سبق ان اصطلاح الدولة في حديث عائشة رضي الله عنها يأتي بمعنى «النعمة» لا بمعنى «الدور» ولا بمعنى «النوبة».

ونلاحظ كأن كلمة الدولة في ذلك العصر كانت تستعمل غالباً بمعنى «النعمة» . فنجد استعمال كلمة الدولة بمعنى «النعمة» في الجاهلية في شعر الزبير[1] عندما كان يرقص النبي ﷺ وهو طفل، فكان يقول[2]:

محمد بن عَبْدَم عشت بعيش أنعم
في دولة ومغنم دام سجيس الألزم

كما نلاحظ نفس المعنى في شعر فروة بن سيك المرادي لما أنشد في يوم قدومه[3] قائلاً:

كذاك الدهر دولته سجال تكر صروفه حينا فحينا

فاذا نظرنا إلى استعمال كلمة الدولة التي تأتي بمعنى النعمة في الجاهلية والعهد النبوي، أدركنا الفرق بين معنى النعمة في الجاهلية والعهد النبوي، فكانت النعمة تعني في الجاهلية «بما أنعمه الألزم، أي الدهر» بينما تعني النعمة في العهد النبوي «بما أنعمه الله»، وهذه هي نفس الملاحظة التي لاحظناها حول الفرق بين معنى الغلبة في الجاهلية والعهد النبوي.

وبناء على ما تقدم من «اصطلاح الدولة في عهد النبي ﷺ وما بعده» فيمكننا القول عن المعيار المعني في اصطلاح الدولة في عهد النبي ﷺ بأن الدَّولة والدُّولة لغتان تأتيان بمعنى واحد وهو

---

(١) كان الزبير ولداً من أولاد عبد المطلب وهو أكبر أعمام النبي ﷺ (ابن هشام، السيرة النبوية، قدم لها وعلق عليها وضبطها طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت ١٩٨٧م، ج١، ص ٩٩).

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٩٩.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤، ص ١٦٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر ١٩٦٢، ج٣، ص ١٣٥.

«الغلبة في المال والحرب».

وننتقل الآن للبحث في تطور اصطلاح مفهوم الدولة في عهد الأمويين والعباسيين:

٢- في عهد الأمويين (٤١- ١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م)

استعمل شخص من بني أمية كلمة الدولة مخاطباً عثمان رضي الله عنه، قائلاً: «نحن نقاتل عن دولتكم وأنت تكيدها»[١]، فنجد هنا أن كلمة الدولة تأتي بمعنى «الأيام التي يَغلِب عثمان فيها»، وبناءً على ذلك فنستطيع القول أن مفهوم الدولة في العهد الأموي أخذ المعنى التالي وهو «ثبوت هذه الأيام التي يغلب فيها شخص ما بواسطة ما».

٣- في عهد العباسيين (١٣٢-٩٢٢هـ/٧٥٠-١٥١٧م)

أ- في أيام العباسيين الأولى

استعمل أبو العباس كلمة الدولة حينما صعد المنبر عندما بويع له بالخلافة فقال: «... يا أهل الكوفة ...وأتاكم الله بدَوْلتنا ...»[٢]. ونجد أن كلمة الدولة هنا تأتي بمعنى «الأيام التي يغلبون فيها».

وبعد أبي العباس صعد داود بن علي فقام دونه على مراقي المنبر، فقال: « ... ياأهل الكوفة؛ إنا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا، حتى أتاح الله لنا شيعتنا أهل خراسان، فأحيا

---

(١) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت٢٨٤ هـ)، **انساب الأشراف**، الجزء الرابع-القسم الثاني، ص ٣٩.
(Edited By: Max Schloessinger, at th Uni. Press, Jerusalem, 1938).

(٢) **تاريخ الطبري**، ج٧، ص ٤٢٦.

بهم حقنا وأفلج بهم حجتنا وأظهر بهم دولتنا، وأراكم الله ما كنتم تنتظرون ...»[1]، فكلمة الدولة هنا جاءت بمعنى «غلبة بني العباس بواسطة أهل خراسان».

واستعمل أبو جعفر المنصور كلمة الدولة بنفس المعنى المذكور أعلاه[2]. كما استعمل المنصور كلمة الدولة بنفس المعنى عندما راسل عيسى بن موسى كاتباً له: «... وارتاح بالرحمة لأهل بيت نبيه ﷺ؛ فابتعث الله لهم أنصاراً يطلبون بثأرهم، ويجاهدون عدوهم، ويدعون إلى حبهم وينصرون دولتهم ...»[3]. وأيضاً استعمل الربيع كلمة الدولة في نفس المعنى أعلاه عندما وصى المهدي كاتباً له: «... ثم أخذ في وصيتهم بالمهدي، واذكارهم البيعة له، وحضهم على القيام بدولته، والوفاء بعهده إلى آخر الكتاب»[4].

واستعمل ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) كلمة الدولة أيضا بنفس المعنى وذلك عندما وضع عنواناً داخل كتابه «عيون الأخبار» باسم «باب من أخبار الدولة والمنصور والطالبيين»[5].

وأنشد الشاعر أبو دلامة مستعملاً كلمة الدولة بنفس المعنى المذكور أعلاه قائلاً:

أبا مجرم ما غير الله نعمة ... على عبده حتى يغيرها العبد
أفي دولة المهدي حاولت عدة ... ألا إن أهل الغدر آباؤك الكرد
أبا مجرم خوفتني القتل فانتحى ... عليك بما خوفتني الأسد الورد[6]

وبناء على ما تقدم فنستطيع أن نقول أن مفهوم الدولة في

---

(١) تاريخ الطبري، ج٧، ص ٤٢٨.

(٢) أنظر لذلك إلى: تاريخ الطبري، ج٧، ص ٤٦٨.

(٣) تاريخ الطبري، ج٨، ص ١٥. ونلاحظ هنا تأثير الجند على المنصور في كتابة هذه الرسالة. أنظر إلى: تاريخ الطبري، ج٨، ص١٤، و ج٧، ص ٤٨٣.

(٤) تاريخ الطبري، ج٨، ص ١١٢.

(٥) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٦٣م، ص ٢٠٤ وما بعدها.

(٦) ابن قتية، عيون الأخبار، ج١، ص ٢٦.

أيام العباسيين الأولى قد تطور واكتسب معنى: «ثبوت الأيام التي يغلب بني العباس (أي أهل البيت) فيها، لهم بواسطة شيعة خراسان الذين قاموا بتأسيس جيش منظم ومعظم».

وربما أن بني العباس وغيرهم من المسلمين قد أعتبروا بامداد الله المسلمين بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين في بدر وهم أقل عدد وأضعف قوة ، فأنصرهم الله على من خالفهم[1]. وعليه فقد أنشد الشاعر[2]:

وفينا جنود الله حين يمدنا ... بهم في مقام ثم مستوضح الذكر
فشد بهم جبريل تحت لوائنا ... لدى مأزق فيه مناياهم تجري

ب- في أيام العباسيين اللاحقة

قد لاحظنا أنه طرأ تطور في مفهوم الدولة في بداية عهد العباسيين، فدخل في إطار اصطلاح الدولة مفهوم الواسطة التي يقام بها ثبوت الأيام التي يغلب العباسيون فيها، أي ثبوت دولتهم، ورأينا أن هذه الواسطة هي الجيش المنظم والمعظم. ولعب الجيش دوراً هاماً في حياة العباسيين، حتى أنه بدأ باعطاء لقب لكل من الذين أخذوا الوظائف العسكرية، منها: «ولي الدولة»[3]، و«عميد الدولة»[4]، و«عماد الدولة»، و«ركن الدولة»، و«معز الدولة»، و«عضد الدولة»، و«بهاء الدولة ونظام الدولة»[5].

---

(١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٣، ص ٤٨.

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٢، ص ٢٦٠.

(٣) قد لُقّب المكتفي بالله أبا الحسين بن القاسم بن عبيد الله بـ «ولي الدولة» (أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ)، **صُبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة ١٩٦٣م، ج١، ص ٤٣١، ج٥، ص ٤٤٢.

(٤) ولقب المقتدر بالله علي بن أبي الحسين المتقدم ذكره بـ «عميد الدولة» (أحمد بن محمد، أبو علي، المعروف بمسكويه (ت ٤٢١هـ)، **كتاب تجارب الأمم**، شركة التمدن الصناعية، مصر ١٩١٤، ص ٢٢٣).

(٥) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٥، ص ٤٤٢.

ثم تزايد التقليب بالدولة وأفرط، فدخل التلقيب في الكتّاب والصيارف والأطبة أولئك الذين أُستُخدَموا لخدمات الدولة، حتى صارت الدولة لقباً لأهل الأسواق وسائر من طلب وأراد، وحتى وجد أن من أهل الذمة من لُقِّب بالدولة[1].

الخاتمة

إن الدُّولة والدُّولة لفتان تأتيان بمعنى واحد وهو أن الغلبة في الحرب والمال وحتى في العلم سواء.

وطبقاً لهذا المعنى ففي الجاهلية استعمل الزبير كلمة الدولة عندما كان يرقص النبي ﷺ وهو طفل، كما استعملها الشعراء في شعرهم، وأما في عهد النبي ﷺ فقد بيّن فاعل فعل «الغلبة» وهو الله، ودخل في إطار مفهوم الدولة الذي معناه «الغلبة وفاعله الله» معنى «الأيام التي فيها الغلبة»، وأما في عهد الأمويين فقد دخل في إطار مفهوم الدولة الذي معناه «الغلبة وفاعله الله، والأيام التي فيها الغلبة» معنى «ثبوت واستمرار هذه الأيام لشخص ما بواسطة ما». وفي عهد العباسيين تطور مفهوم الدولة حيث حددت الواسطة بالجيش. وأخيراً اتخذ مفهوم الدولة معناً وهو: «ثبوت واستمرار هذه الأيام التي يغلب فيها بني العباس بواسطة الجيش»، حتى أن كلمة الدولة صارت لقباً لكل من الذين أخذوا الوظائف العسكرية في الدولة.

---

(١) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٥، ص ٤٩٠، ٤٩١.